﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٤﴾ [العنكبوت: 44]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لمّا ضربَ المثَل بالعنكبوت، وأشارَ بعدَ ذلك إلى قيمة الأمثال، وبيّنَ أنّه تعالى يعلمُ ما يَدْعونَ من دونه من شيءٍ، لأنّها معبوداتٌ متوهَّمَةٌ لا تملكُ من الأمر شيئًا ذكرَ في هذه الآية خَلْقَ السّماوات والأرض؛ تنبيهًا على أمْرٍ يوقِفُ الأذهانَ عَلى صِغَرِ قَدْرِ الأوثانِ وكُلِّ مَعْبودٍ مِن دونِ اللّهِ تَعالى[1].

إيقاظ للعقول للنّظر إلى حقارة ما يُعبَد من دون الله مقارنةً بعظَمة مَنْ خَلَقَ الخَلْقَ العظيم كالسّماوات والأرضِ

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾: (حقّ) أصلٌ يدلّ على إحكامِ الشّيء وصحّته، فالحقُّ نقيضُ الباطل، ثمَّ يرجعُ كلُّ فرعٍ إليه بجودةِ الاستخراج وحُسْنِ التّلفيق، ويقالُ حقَّ الشّيء: وجبَ[2]، فمادّةُ الحقّ تدور على معنى الموافَقة والمطابَقة للثّابت المقرَّر والواجب المُقدَّر، وهو هنا في الآية يقال: للموجَد بحسب مقتضى الحِكمة، ولهذا يقالُ: فعلُ اللّه تعالى كلُّه حقّ؛ لصدوره جميعًا من الحقّ سبحانه على وفْقِ العلْم والحِكمة والتّقدير الأزليّ الثّابت، والمرادُ بقوله: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ أي: أوْجدَهما على مُقتضى الحِكمة الملابِسة للحقّ[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

خلقَ اللّه السَّمواتِ والأرضَ بالحقّ والإحكام، وإنَّ في خَلْقه ذلك

أولياءُ المشركين لم يَخلُقوا ذرّةً، فكيف بخلْق السّموات والأرض!

(1) ابن عطيّة المحرّر الوجيز: 4/ 319.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حق).
(3) الرّاغب، المفردات: (حق).

دلالةً عظيمةً على قدرته، وتفرُّدِه بالأُلوهيَّة، وخَصَّ المؤمنين بالذِّكْر؛ لأنّهم الّذين ينتفعونَ بذلك[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

موقعُ جملة: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ﴾:

جملةُ ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ استئنافيّةٌ انتُقلَ بها من تقرير الأمثال المسطورةِ في الكتاب، وبيانِ المنتفعينَ بها من العالمين، إلى تقريرِ الآيات المنظورةِ في الكون، وبيانِ المنتفعينَ بها من المؤمنين.

الأمثالُ آياتٌ مسطورةٌ والمخلوقاتُ آياتٌ منظورة

معنى (أل) التعريف في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ و﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾:

(أل) في: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ للعهد، أي: الطّبقاتُ العُليا المعهودةُ فوقَ الأرضِ الّتي نعيشُ عليها بأبعادِها المترامية، وحدودِها المديدةِ المنبسِطة، وأفادَ الجمعُ أنّها سماواتٌ متعدّدةٌ معهودةٌ عهْدًا ذِكريًا، كما أفادَ إفرادُ الأرض أنّها واحدةٌ، وهي الأرضُ الّتي نعيشُ عليها وأهبطَ إليها آدمَ ﷺ، وإنْ كانتْ مثلَ السّماوات عددًا كما جاء في آية أخرى.

العهد الذّكريّ فيهما، وهما من أعظم ما خَلَقَ الله

معنى الباء في قوله: ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾:

(الباء) في قوله: ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾ للملابسة، أي: خلقنا السّماواتِ والأرضَ خلْقًا مُتَلبِّسًا بالحقّ، أي: خلْقًا قائمًا بالحقّ مُلازِمًا مُصاحِبًا له مُمتزِجًا به لا ينفكُّ عنه، ويؤيّدُ معنى الملابسةِ قولُه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ﴾ [ص: 27]، أي: لم يُزامِنْ خلْقُهُما باطلًا قطّ، ويصحّ أن تكونَ (الباء) للسّببيّة، أي: خلقَها للسّبب الحقّ[2].

لمّا كان الله هو الحقَّ كان كلُّ فعله في الوجود قائمًا بالحقّ

دلالة (أل) في كلمة ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾:

(أل) في قوله: ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾ هي (أل) التّعريف الجنسيّة الدّالّة على

(1) نخبة من علماء التّفسير، التّفسير الميسّر، مَجْمَع الملك فهد، ص: 401.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 257، 25/ 356.

الحقيقةِ والماهيّة، فيفيدُ أنّ الخلقَ للسماوات والأرض كانَ ممزوجًا بحقيقةِ الحقِّ، ليس فيه شيءٌ من العَبَث أوِ البُطلان.

نكتةُ فصلِ قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾:

جملةُ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ إمّا تعليليّةٌ للجملةِ قبلها، أي: خلقَ السَّماواتِ والأرضَ بالحقّ؛ ليكونَ ذلك الخلقُ آيةً تنفعُ المؤمنينَ وتَزيدُ في إيمانهم، وفُصِلَتْ لإغناءِ حرفِ التّوكيد عن الرَّبط بالعاطف، أوْ هي استئنافٌ بيانيٌّ، وقعَ جوابًا لسؤالٍ مقدّرٍ، كأنّه قيل: ومَنْ يستفيدُ مِن خلقِهما بالحقّ؟ فأجيبَ ببيان المستفيدينَ منها، فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

لا يقعُ في الوجودِ شيءٌ عبثًا أبدًا

بلاغةُ المؤكّدات في جملةِ الفاصلة:

حُشِدَتْ جملةُ الفاصلة في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ بجملةٍ من المؤكّدات، هي: اسميّةُ الجملة، والتّصديرُ بحرف التّوكيد؛ عنايةً بتقرير مضمونِ الجملة، واهتمامًا بتحقيقِ معناها واسترعاءً لذهنِ المخاطَب أنْ يتنبّه ويلتفت، ثمَّ تقديمُ الجارِّ والمجرور على اسم ﴿إِنَّ﴾ المؤخَّر في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ لإفادةِ الاختصاص والاعتناء، أي: في ذلك الشّأن خاصّةً آيةٌ عظيمة، ثمّ تأكيدُ اسم إنّ بـ(لام) الابتداءِ المزحلَقة للمبتدأ المؤخّر؛ تأكيدًا له، وعنايةً بتقريره، كما اعتنى بالخبرِ قبلَه بتقديمه في: ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾، مع تنكيرِ لفظ ﴿لَآيَةً﴾ الدّالّ على التّعظيم والتّفخيم، فاحتشدتْ بالمؤكّدات اللّفظيّة، والقرائنِ المعنويّة الّتي يستفادُ منها تَضاعُفُ تأكيدِ المعنى والتّرسيخُ له[2].

مسألةُ الوجودِ والخلقِ شأنٌ يغلَطُ الإنسانُ في قراءتِه، ولذلك يَخْتَفُّ بالمؤكّدات

نكتةُ التّعبير بالظّرفيّة:

التّعبيرُ بحرفِ الوعاء في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾؛ لإفادة الظّرفيّة المجازيّة الدّالّة على أنّ شأن الخلقِ المشارِ إليه باسم

إحكامُ اللفظِ لئلّا يكونَ لأحدٍ عذرٌ في الغلطِ والتّوهُّمِ والنّسيان

(1) صافي، الجدول: 10/ 343.

(2) الخطيب، التّفصيل في إعراب التّنزيل: 20/ 276.

الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ مشمولٌ على الإعجاز والبرهان الظّاهر، والعلامةِ الحاسمة على ألوهيّة الرّحمن، فهذا الشّأنُ المشارُ إليه وعاءٌ لاستقرار الآيةِ الّتي تُزيد في الإيمان واليقين، وغرضُ الظَّرفيّة: التّنويهُ على أنّ الآية باقيةٌ في هذا الشّأن المذكور لا تنفكُّ عنه، كأنّها رُكِّبَتْ فيه، فهي مضمونةٌ أنْ يُلاحظها كلُّ أحدٍ إذا اهتدى وآمَن.

غرضُ التّعبير باسم الإشارة البعيد:

عظمة المخلوقات تستدعي عظمة الخالق

التّعبيرُ باسم الإشارة للبعيد العائدِ على شأن الخلْق المفهوم من قوله ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، أي: في ذلك الخلْق المذكور لآيةً، وأشار إليه بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ لبُعدِه في المنزلةِ والعِظَم، فخلْقُ السّماوات والأرضِ حقيقٌ بأنْ يُشارَ إليه بما يدلّ على بُعدِه؛ للتنبيه على أنّه بعيدٌ عن إمكانِ غير الله، عزيزٌ في الأدلّة والبرهان.

معنى اللّام في قوله: ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾:

(اللّام) في ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ هي لامُ الأجْل والتّخصيص، أي: آيةٌ لأجْلِ المؤمنين خاصّة؛ لأنّهم المنتفعونَ بها دونَ غيرهم؛ وللتنويهِ بشأنِ الإيمان.

معنى (أل) في: ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾:

استغراق جنس المؤمنين المتحقّقين بالإيمان

(أل) في قوله: ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لاستغراقِ جنس المؤمنين عددًا وحقيقةً، و(أل) الدّاخلةُ على الوصف المشتقّ: (المؤمنين) تفيدُ الكمال، أي: المتحقِّقونَ بالإيمان.

نكتةُ اختيار (المؤمنين):

واختارَ (المؤمنين) دون غيرهم في: ﴿لَّآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، فلم يقل: (للمتّقين أو الصّالحين، أو غيره من الأوصاف)؛ لأنّ المقامَ مقامُ مقابلةٍ مع غيرِ المُنتفعين بالآيات والأمثال وهُمُ المشركون ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾، فاقتضى التّعبيرُ بصفةِ الإيمان؛

للدّلالةِ على أنّ الإيمانَ هو مِفتاحُ الانتفاعِ بالأمثال المسطورةِ والآيات المنظورة، وفي اختتامِ هذه الآية بـ(المؤمنين)، والآيةِ الّتي سبقَتْها بـ(العالمين) تناسبٌ واضح؛ إذ ضربُ الأمثال يحتاجُ إلى عقلٍ يعلمُها، وإيجادُ السّموات والأرض من العدمِ برهانٌ للباحثينَ عن الإيمان المفتشينَ عن الأسباب.

الإيـمـانُ هو الأصـلُ الـذي دارتْ عليه ومن أجـلِـه جـمـيـعُ خطابات القرآن

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والأربعون،
سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 42 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-93-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 42 : المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-93-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2154237 بتاريخ 2024/12/25م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»